مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12، عدد:1، مارس 2023
ص: 29 - 45 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

اشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الاندلسي لواسيني الأعرج

Engaging the Discourse of Resistance in the Andalusian House Novel by Waciny Laredj

عنيقي نبيلة * / بعيو نورة[2][1]
Aniki Nabila[1]/Bayou Noura[2]
مخبر ل م د جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة الجزائر.
جامعة مولود معمري -تيزي وزو(الجزائر)،
Mouloud Meamri university -Tizi ouzou (Algeria)
nabilaaniki@gmail.com[1] / noura.adab@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/09/27	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة الموسومة باشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج أن تضع يدها على صور الصراع القائم بين الذات الواعية التي تسعى إلى الحفاظ على ذاكرتها ووجودها في ظل تكالب السلطة، لترسم ثقافة المقاومة رحلتها نحو تفجير الصمت المطبق وتحرير الأصوات المقموعة عن طريق تفعيل الذاكرة والمقاومة على الوجود والانتماء، سعيا منا كذلك إلى الكشف عن اشتغال خطاب المقاومة في مدونة قامت علىالذاكرة كعنصر أساسي في تفعيل هذا الخطاب،وأهميته في كشف الفكر الجوهري المنسي الذي سكتت عنه السرديات الكبرى .

الكلمات المفتاح:ثقافة، مقاومة، ذاكرة، تاريخ، كتابة، موسيقى.

Abstract:

The present study concerns itself with engaging the discourse of resistance in The Andalusian House novel by Waciny Laredj in an attempt to shed light on the images of the conflict between the conscious self that seeks to preserve its memory, and existence in the wake of the fierce struggle of power. The conscious self, therefore, aims to make the awareness of resistance portray its journey towards breaking the absolute silence and liberating the oppressed voices by activating memory and resistance to existence and belonging. In our part, we sought to investigate the resistance engagement in a blog, which is mainly based on evoking the memory, as an essential component in stimulating this

* نبيلة عنيقي nabilaaniki@gmail.com

discourse and its importance in revealing the pivotal thought, which happened to be forgotten and neglected by the meta narrative.

Keywords:Resistance-awareness-memory–history-writing-music.

مقدمة:

أثارت الرواية العربية اليوم قضايا في صميم المقاومة والبحث عن الذات والوجود في ظل الصراع الذي عرفته السرديات الكبرى، التي تقوم على ثنائية المركز والهامش وسيطرة الآخر وسلطته،مما مهد لظهور خطاب مضاد عنوانه الرفض والتمرد، وباتت المقاومة بذلك راهنا وضرورة، وعليه فإذا كانت الإمبراطورية أو المركزية الأوربية قد اتخذت من السرديات وسيلتها لبسط نفوذها وسلطتها فإن الرد بالكتابة أو السّرديات المضادة تمثل رحلة لابد منها بالنسبة للشعوب المستعمرة حتى تتكلم وتعبر عن ذاتها وهويتها،إذ توالدت السّرديات المضادة التي رسمت أفقا للكتابة ترتمي وراء الانعتاق لتقاوم بالثقافة باعتبارها سلاحا أزليا يتغلل عبر نافذة الزمن لإحياء التاريخ وتحرير الذاكرة، وإثبات هوية الذات ووجودها وانتمائها.

تعدّ رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج صرخة من صرخات المقاومة،مقاومة الذوات وهي تسعى إلى تعميق سؤال الهوية وصلة الإنسان بالذاكرة والتاريخ بعد تعرضه لفعل الانخلاع من فضائه الأصلي، وإعادة تشكيل أواصر الانتماء الجديدة إلى العالم الجديد الذي يتمثلفي البيت الأندلسي، وما يحمله من خصوصية ثقافية جعلت منه مكانا لاحتفاء الذات بماضيها وثقافتها وهويتها ومقاومتها، قصد الحفاظ على إرث الأجداد وتاريخهم، والبيت الأندلسي لواسيني الأعرج يحكي قصة بيت ليس كالبيوت، بيت جمع بين أسواره ألف حكاية، حكاية الأندلس وهي تودع أبناءها وحكاية الجزائر وهي تستقبل المورسكيين المهجرين قصرا. هي حكاية الجد غاليليو الروخو الذي عانى من عذابات التفتيش في غرناطة ليجد نفسه يعيش المنفى في بلاد غير بلاده وأرض جديدة، هي صرخة من صرخات الألم التي ذاقتها الذات المهاجرة إلى منفاها وهي تحاول إسماع صوتها في مواجهة سلطة متمردة سرقت ذاكرة أمّة، هي حكاية الجد غاليليو الذي حمل الأندلس بكل مآسيها، كما حمل حبهالكبير لحنا سلطانة التي بقي وفيا لها ولحلمها بالعيش في البيت الأندلسي كالذي رأته على هضاب غرناطة في يوم من الأيام.

إنّ البيت الأندلسي في روايتنا هاته هو الوجه الثاني للأندلس يحمل من خيباتها وانكساراتها وضياعها ومقاومة مراد باسطا حفيد الجد غاليليو آخر ما تبقى من السلالة المنقرضة،وهو يحاول الحفاظ على مخطوطة جده الأول التي دون عليها فظائع محاكم التفتيش، وأن يقاوم محو هوية وتاريخ البيت وهو يتساءل «**من أين بدأ هذا الجرح يا سيكا آمن الدار؟ أمن سقم أصبح يشبهها في كل شيء** "[1]سؤال يوقظ جراح السنين ويعود للماضي والحاضر القلق معا وهو وخز للذاكرة الموجعة ،كما يعادفيها السرد إلى ماض وذاكرة متخمة بإرث ثقافي أندلسي عريق أوصى به الموريسكي الأول الجد غاليليو الروخو "**حافظوا على البيت الأندلسي، فهو من لحمي**

ودمي، ابقوا فيه ولا تغادروه حتى ولو أصبحتم خدما فيه أو عبيدا"[2]نص يحمل بين حروفه روح المقاومة وهو يتكرر على طول الرواية التي تحمل تاريخ أناس تم ترحيلهم من غرناطة تاركين أملاكهم وأحلامهم، فقد طرد غاليليو الروخو بعد أن ذاق عذابات محاكم التفتيش،لكنّه لم ينسَ وعده وحلمه لحبيبته بأن يكون لهما بيتا أندلسيا،ولو في أرض غير غرناطة "**سأبني بيتنا الأندلسي على الأرض الأخرى وسنسكنه مع بعض، لي يقين بذلك لا يلين أبدا، سنبنيه هنا في هذه الدنيا قبل الآخرة، لا أدري في أي مكان ولا في أي زمان،ولكني مطمئن للآتي، واجهت موت المحاكم وخرجت كاملا فلن تقهرني أي قوة أخرى بعدا الآن،حلمي الذي وعدتك به واشتهيته وأنت ترينه منجزا في أحد مرتفعات غرناطة سيلازمني إلى آخر العمر"**[3]تم ترحيل الحلم والذاكرة نحو أرض جديدة تحمل من آمال غاليليو ما يكفي لتشييد البيت الأندلسي،هذا البيت الذي يواجه فيما بعدحلقة الضباع التي نخرت الأجساد وتمادت في طمس الهويات وفتكذاكرة أمّة.

البيت الأندلسي فضاء يحكي ماضيا ثريا عنيفا وجميلا، يروي قصصًا لأناس عاديين في رواحهم ومجيئهم اليومي، يحكي قصة غاليليو الروخو "**الموريسكي الضائع الذي بناه بأنامله مثل الذي يعزف نوتة أندلسية على تلوينات طبوعيه مختلفة** "ليحمل في طياته معاني الحب والوفاء "**لبيتي معنى واحد اسمه سلطانة** "[4]هذا البيت الذي أفقدته حلقة الضباع هويته «**لم تتبق إلا أصداء أماكنهم وظلالهم المنكسرة كل شيء انكسر** "[5] أمّا البيت الأندلسي" **فهيإعادة بعث الموروث الأندلسي في تحيين آخر، وهو القرن السادس عشر،من وجهة نظرحوارية تتمازج فيها الهويات الثقافية،وتتعدد الأصوات بطرق إيجابية، لكنها في غالب الأحيان تصطدم بالأصولية وبأشواك التعصب** "[6]أشواك التعصب هذه صنعتها مافيا العقار ضمن حلقة الضباع التي وقفت في الحقيقة ضد الهوية والتاريخ والذاكرة .

نص يحمل من حرارة المقاومة وهي قضية جوهرية طرحها واسيني الأعرج على شكل سرديات المقاومة انطلاقا من الروائي في حد ذاته،وهو يحاول أن يقاوم زيف التاريخ وينصف ماضيه وماضي أجداده وأصوله الموريسيكية،إلى شخصيات الرواية التي رسمت لنا عنوان المقاومة، إلى المثقف الواعي بقضيته والذي رسم طريق مقاومته بأسلوبه الخاص سواء بالكتابة أو بالموسيقى أو استرجاع الذاكرة (التاريخ) على هيئةمقاومة، أي مقاومة الصمت ومناهضة كل أشكال القهر والاستبداد التي تهدد الهوية،وهذا ما دفعنا للاشتغال على خطاب المقاومة في نص البيت الأندلسي والبحث عن جواب لأسئلة شغلت فكرنا ونحن نجوب غمار هذه المدونة، فماهي تمثلات ثقافة المقاومة في رواية البيت الاندلسي ؟وكيف برز خطاب المقاومة في هذا النص ؟

أولا: ثقافة المقاومة عند إدوارد سعيد:

شكلت الرواية المعاصرة شكلاً من أشكال المقاومة، حيث تولت الرد على كل ممارسة تهدف إلى تزييف التاريخ أو نسيانه وتحقيق وجود الفرد وانتمائه، بعدما كانت سردا يخدم الإمبراطورية الغربية، التي ترى في ما دون الغربي وحشيا دونيا ومرفوضا، فوجود الرواية المعاصرة والتي عدّت سردا مضادا لما خلفته السرديات الإمبراطورية محاولة ردّ الاعتبار للشرقي وذاته وهويته وتاريخه، فكتابة الشرقي عن نفسه إذن

ومقاومته هي خطوة نحو كسر الصمت الذي أُلحق به،وتقويض لفكرة الشرقي الصامت الكسول والخامل، بعيدا عن سمات الحضارة والتمدن، وهي في أصلها نابعة من ثقافة المقاومة، هذا المفهوم الشامل الذي أخذناه عن الأب الروحي للفكر مابعد الكولونيالي الذي محمد لميلاد فكر تحرري تقويضي، الناقد إدوارد سعيد، فالمقاومة في مفهومها هي ثقافة المرفوض ضد المفروض ومقاومة ضد الهيمنة، إذ تستدعي المقاومة طرفا قويا مهيمنا وطرفا مهمشا.

أمّا اصطلاحا فنجد المقاومة هي السعي لرؤية جديدة للعالم والقدرة على خلق الجديد، ويعني أيضا التمرد وكسر النظام السائد، خاصة بعدما عرف العالم هذه الثنائية بين المهيمن والمهمش، وهي أيضا "**أن تقول لا، معناها المناهضة معناها التمرد... معناها الاحتجاج ضد...هي إذن شكل من أشكال العصيان والثورة**"[7].ثورة المهمش حتى يصنع ذاته، أن يتمرد على كل سلطة قيدته وحدّت من حريته، أن يرفض الخضوع والخنوع للآخر مهما كان نوعه. " **أن تسير عكس التيار السائد ...أن تقول لا حين تسود كلمة نعم،يكفيك أن ترفض الخضوع للعادات والتقاليد السائدة حتي تصبح مقاوما ثقافيا،يكفيك أن تحمل قلما وتكتب لمحاربة السلطة كانت ...يكفيك أن تقول لا وتقف في وجه أي من تلك السلطات**"[8] فكتابة المرأة عن المرأة مقاومة لأنها تمردت على الرجل الذي كان يرى فيها هامشا،وكتابة الأنا العربية عن تاريخها وهويتها مقاومة لأنها قاومت الفكر المركزي (الآخر)الذي أخذ أرضها وزيف تاريخها وطمس هويتها، فكان لزاما عليها أن ترفض الخضوع، إذ يرى إدوارد سعيد وهو الذي عاش مع هذا الآخر ودرس تفكيره ورؤيته للأنا العربية "**أنّ هناك دائما محاولة للقمع والإخضاع يقابلها إبداع شعبي وإرادة يضطلعان بمهمة المقاومة** "[9]والرد على هذا الطغيان.

والمقاومة هي ردة فعل واعية لكل استبداد واستعباد ،"**وهي عملية ذات شقين يتعلق الشق الأول باسترداد الأرض المغتصبة** "[10]أي استرجاع أرض الأصلاني، أي مقاومة المستعمر وخروجه من الأرض المستعمرة،والشق الثاني متعلق بالمقاومة الأيديولوجية التي يوليها إدوارد سعيد اهتماما كبيرا، إذ يتكون هذا الأخير من "**إصرار على رؤية التاريخ البشري ...يقوم علي إزالة الحواجز بين الثقافات وأخيرا الدخول إلى الخطاب الأوروبي والغربي من أجل الاختلاط به،والعمل على تحولات فيه ودفعه إلى الاعتراف بالتاريخ المهمش أو التاريخ المقموع أو التاريخ المنسي** "[11]ومنه يسعى إدوارد سعيدإلى تأكيد أهمية المقاومة في صناعة الذات، خاصة ذات ما بعد الاستعمار وتاريخها الذي كتب بكل قذارة وتزييف، والتي عملت على تأكيد هويتها وكيانها الذي غُيّب من طرف المركزية الغربية،ويضيف سعيد أنّ المقاومة ما هي "**إلا تلك القدرة على مجابهة الخطاب السائد،والقدرة علي إنتاج كتابة ترد عليه بالقيام برحلة إلى الداخل** "[12] أي الرحلة من الخارج كما رسمها الآخر عن الشرقي، إلى الداخل من خلال الخوض في ثنايا الثقافة الغربية،وكشف أهم الأنساق التي تمررها ثم الدخول إلى ثقافة المقاومة والرفض والاعتراض على المستعمرات واستنباط آليات الرد علي المركز الكولونيالي الذي يري في الآخر التابع مخلوقا ضعيفاوبدائيا،هذا المفهوم أي ثقافة المقاومة من المفاهيم التي أرساها إدوارد سعيد في بحثه عن خصوصية هذا الغربي وتفكيره نحو الشرقي والرحلة العكسية من الخارج إلى الداخل،والتي

تبناها الكتاب والشعراء حتى يؤسسوا لفكر لا يؤمن بالمركزية ولا بالسلطة كما أشار في أغلب كتبه ومقالاته، وعلى رأسها كتابه المهم الثقافة والامبريالية، بالإضافة إلى ذلك نجد إدوارد سعيد يرى أن ثقافة المقاومة جاءت كرد فعل وتجديف ضد التيار الغربي،كموقف رافض ومتمرد على المفاهيم التي يحاول الغرب ترسيخها لدى الشرقي.

وهي حقيقة صنعها الفكر الكولونيالي الذي طغى وبسط نفوذه مما استدعى خلق خطابٍ مناهضٍومقاومٍلذلك الفكر المهيمن، أي خَلْقَ فكرٍ تحرريٍ،ويقوم فعل المقاومة حسب إدوارد سعيد **"على رسم خريطة الأرض الثقافية كمرحلة تالية للمقاومة المسلحة، ويقصد بها المقاومة التي تتم بوسائل ثقافية وعلى السرد وتهدف هذه المقاومة إلى إعادة اكتشاف ما كان قد تم قمعه في ماضي الأصلانيين من قبل عمليات الإمبريالية "**[13]فالإمبريالية كمرحلة أو حركة قمعية عجلت بميلاد السرد المضاد الذي كان أهم الوسائل التي قاومت بها الأنا العربية والإفريقية الفكر المركزي الغربي بهيمنته وجبروته،فالكتابة السردية المضادة "**تفكك الصور النمطية المتحيزة أيديولوجيا للمركزية الغربية، منطلقة من الوعي بأهمية امتلاك سلطة "الكلمة "و"الصوت "في تمثيل الذات "**[14]فبعد أن كانت الكلمة والصوت حكرًا على الإمبريالية الغربية حيث كتب تاريخ مستعمراتها بزيف كبير ونصرة دوما للآخر الغربي الذي يري فيه موضع القوة والتفوق والتحضر، في حين نرى في الأنا الشرقية الدونية والضعف،آن الأوان لهذا التابع أن يكتب ويقول بصوته لا ولهذا يقول أن المقاومة الثقافية "**هي صراع سرديات الأولي أوروبيةتعتبر نفسها الأقوى والأجمل،والثانية تحاول إبراز خصوصياتها التي تعبر عن هوية شعوبها وتاريخهم "**[15]

مما سبق يمكن القول إنّ المقاومة هي طريق الحرية والتغيير والسبيل الناجع لخلق فكر جديد واعٍ بماضيه وتاريخه، قادر على حماية إرثه الثقافي وصون هويته وحفظ ذاكرته، ويكون ذلك بتبنيات المقاومة وثقافة المقاومة من تفعيل الذاكرة أي التاريخ والكتابة والموسيقى كما هي في نص البيت الأندلسي.

ثانيا: التاريخ /تفعيل الذاكرة:

تتكئ الرواية الجزائرية اليوم إلى التاريخ بشكل كبير، إذ يعد مرجعا مهما لها، تستقي موضوعاتها منه ومن شخصياته، والرواية الجزائرية هي «**أشدالروايات إيغالا في توظيف التاريخ ...حاولت الرواية الجزائرية المعاصرة. بحسب مضامينها المتقاربة نوعا ما أن تقرب الماضي للتاريخ من الواقع الجديد لربما لأنها رأت أن تاريخنا أصبح بعيدا عنا مسافة أننا لم نستطع الوفاء له، ... من هدا المنطلق يعد دخول التاريخ إلى النصّ الروائي الجزائري مغامرة من الكاتب الذي يحاول إيصال أفكاره إلى القارئ بشتى الوسائل "**[16].فالرواية إذن شمولية جمعت التاريخ والماضي في ثناياها محاولة إنصاف التاريخ وتعريف الأجيال به،وبذلك صون قوميتهوذاكرته وهويته التاريخية،إذ "**أن الماضي يستمر،كما يقول "ستيوارت هول " stuart hall في كتابه "الهوية الثقافية والشتات identily and diaspora culural" ما دام يتحدث إلينا، لكن هذا الحديث ليس عملية بسيطة بين ذات حاضرة بصورة كلية وبين ماضٍ حقيقي بل هي كثيرا ما تحدث من خلال الذاكرة والفنتازيا والأسطورة "**[17]أي

أن الرواية تستثمر التاريخ حتى تكون حلقة وصل بين الماضي والحاضر وتقربه من الذوات من خلال الاسترجاع والذاكرة،فهيأي الرواية "**استثمار للتاريخ ...الرواية أكملت ما سكت عنه التاريخ وصححت ما زيفه**"[18] والقول بهذا لا يعني تماما أن التاريخ يغير الحقائق بل الرواية تعمل على ملء الفجوات والبياضات التي تركها التاريخ عمدا أو عن غير قصد بفعل الحقب التاريخية المتعاقبة،لذلك نرى النصوص الروائية التي أخذت من التاريخ ثرية بأحداث تجعلنا نرى زيف التاريخ، فمهمة الروائي إذن هي استكمال ما بدأه التاريخي بسرد أحوال الأمم ليأتي الروائي ولمسته الخاصة، نافخا فيها حركية بعد سكون تاريخي للأحداث،وهنا بإمكاننا أن نطرح السؤال نفسه الذي طرحه نضال الشمالي في علاقة الرواية بالتاريخ أن نقول "**أم أنّ الرواية تغبط التاريخ ثراءه المعرفي فتحول المعرفة الماضوية إلى ترنيمة معادة التشكيل**"[19] .

إن الرّواية بفهمنا هذا تكون قد أخذت مادتها من التاريخ إلا أنها أيضا تتغلغل في المجتمع وخبايا النفوس وتعمل علىاستنطاق المسكوت عنه،هذا المسكوت الذي همشه التاريخ ونسيه على الحواف،فالتاريخ عادة ما يهتم بالأحداث الكبيرة والشخصيات العظيمة في حين يترك حياة الناس العادية والبسيطة وهذا ما تتولاه الرواية،إذ تحاكي النفوس البسيطة والمنسية والمهمشة وتكتب عما تعيشه في غياب للتاريخ الذي أهملها فأخذتها الروايةوبعثت فيها الوجود، وهذا ما أشار إليه كارلوس فونتيس في إحدى مقالاته عن الرواية والتاريخ "**أعتقد أن الرواية تمثل الآن تعويضا للتاريخ، إنها تقول ما يمتنع التاريخ عن قوله، نحن كتاب أمريكا اللاتينية نعيد كتابة تاريخ مزور وصامت،فالرواية تقول ما يحجبه التاريخ**"[20] وهي استمرار له وفي الوقت نفسهاستمرارية الماضي الذي يقوم على المرويات والسرود،حتى يمكن للأجيال التواصل مع ماضيها واستعادة تاريخها،وكثيرة هي النصوص الروائية التي قامت على استحضار التاريخ والذاكرة، ورواية البيت الأندلسي إحدى هذه النصوص التي عاد فيها واسيني الاعرج إلى حقبة تاريخية مهمة في تاريخ الجزائر وهي أصله الموريسكي المتجذر في كيانه،إذ يأخذ من مأساة الأندلس موضوعا لروايته،فالتاريخ نقطة ارتكاز عنده منها ينطلق وإليها يعود إذ يتخذ من التاريخ منبعا ينهل منه .

لواسيني الأعرج علاقة وطيدة بالتاريخ "**إذ يشكل استثماره في الكتابة الروائية رصيدا معرفيا مهمنا، إذ لا يكاد أي عمل من أعماله الروائية أن يتحرر من الماضي وألا ينغمس بطريقة ما في التأمل أو مما ترسب في المخيلة الشعبية، ويكمن هذا الحوار الروائي في إعادة رسم خريطة الوجود، ومن ثمّ خلق أوضاع جديدة متخيلة او ذات حمولات مرجعية تاريخانية،تعد بطريقة ما إعادة قراءة للتاريخ**"[21].قراءة التاريخ والعودة إليه في البيت الأندلسي إعادة رسم لخريطة الوجود وكذلك تفعيل لذاكرة الماضي،"**إذ أنّها (أي الذاكرة)تحمل الماضي قدما إلى الحاضر ثم إلى المستقبل وتعصمه من الاختفاء أو الانزلاق في ثقب الذاكرة**"[22] أي تمنعه من الانمحاء.

وهناك من يعمل على تعطيل ذاكرته حد النسيان أي محاولة غلق لجراح الذات ومعاناتها،إلا أننا مع واسيني الأعرج من خلال البيت الأندلسي نعود إلى غرناطة أرض الأجداد التي تأبى النسيان،وهي لفتة منه لإحياء ذاكرة أمّة،فنجد مراد باسطا بطل الرواية الذي يحتفظ بالمخطوطة التي رسمت تاريخ الموريسكيين الذين فروا بهويتهم وثقافتهم من الأندلس إلى الجزائر منذ أكثر من أربعة قرون، والتي كتبت بلغة ألخميادو، هذه اللّغة

التي تمثل سرّهم نحو هويتهم المقهورة وتاريخهم،وتفعيل ذاكرة الذات المتمثلة أولا في الروائي كما ذكرت وبطل الرواية ثانيا الذي جعل منه ذاكرة حية وتفعيل هذه الذاكرة بالعودة إلى الماضي والتاريخ هو إثبات لوجود هذه الهوية،وهذه الأمة التي قاومت وجودها ولاتزال تقاوم، وهذا ما أكّده إدوارد سعيد وهو يشير إلى أهمية الذاكرة في حفظ الماضي،وتشكيل هوية الفرد الفلسطيني في كتابه ثقافة المقاومة "**إنّ الذاكرة أداة جمعية بالغة القوة لحفظ الهوية،وهي شيء يمكن حمله ليس فقط عبر الروايات الرسمية والكتب، ولكن أيضا من خلال الذاكرة غير الرسمية،إنّها واحدة من الحصون الرئيسية ضد الانمحاء التاريخي،إنّها أداة للمقاومة** "[23].

مساءلة الذاكرة والتاريخ هي خطوة جريئة من الروائي بنا في شخصية مراد باسطا، هذا الأخير هو رمز المقاومة في نص يصور الصراع الذي تعاني منه الذات المقاومة، إذ "**أنّ المقاومة شكل من أشكال الذاكرة في مقابل النسيان** "[24].وهي تسعى إلى الحفاظ على ذاكرتها وهويتها التي أصبحت سلعة في يد سلطة مهيمنة تبيع وتشتري ذاكرة وتراث أمّته بأبخس الأثمان،فاسترجاع الماضي وتفعيل ذاكرة مراد باسطا هو تأكيد على أن صوت الذاكرة لا يموت بل يصارع لأجل البقاء:«**متأكد أن الأصوات لا تموت (صوت الذاكرة)شيء عالق في الأشجار والأحجار والهواء،كلما انتابني صوت على حين غفلة سمعت حنين حنا سلطانة الجميل الذي لم يكن يضاهيه أي صوت آخر** "[25]. هووخز لذاكرة مثقلة بحنين لأناس سكنوا البيت وتركوا أنفاسهم فيه "**في هذا البيت روائح كثيرة ،بعضها تداخل مع الروائح الجديدة حتى مات فيّ،وبعضها لا يزال يقاوم، كلما شممتها شعرت بنفسي في زمن غير هذا الزمن،الروائح أيضا لها ذاكرة،وفي ذاكرتها أنسجة قادرة على الاستمرار طويلا** "[26].هنا نجد واسيني الأعرج وُفّق إلى حد كبير في نقل مواجع الذاكرة التي تنفح برائحتها في أي مكان مصرة على البقاء والحياة، والمتمثلة في مراد باسطا وسيكا وسليم التي لم تهزهم الروائح الجديدة، روائح البيت الأندلسي التي فيه، رائحة غرناطة ذاكرة أجدادهم المورسكيين التي سكنتهم وهم لم يعرفوها، فهي (أي غرناطة)كما يرى مراد "**غرناطة ليست لنا، لكن فيها من أنفاس الحق الضائع والمسروق** "[27].غرناطة الذاكرة الموجعة التي خانها التاريخ ليعيد إنصافها واسيني الأعرج من خلال مراد باسطا الذي بقي وفيا لها،وإن سكت التاريخ عنها لن يسكت صوت مراد وصوت سيكا وحنا سلطانة،وصوت المثقف الذي اغتيل بسبب إنصافه لحقيقة البيت الأندلسي، فهذا الصحفي (.يوسف) هو وجه المثقف الذي يقاوم من أجل الكلمة،وهو أيضا صورة عن اغتيال الأصوات التي تواجه حلقة الضباع وصوت الذاكرة "**هناك خيانات يسكت عنها التاريخ لأنها تجرحه** "[28].

لقد كانتهاته الجروح دافعا لمراد وأمثاله لأجل الصّمود والمواجهة للحفاظ على هذا الماضي الثري "**لم أكن أبحث عن حروب المجد،ولكن حربي كانت فيّ،في أعماقي،كيف أحافظ على ما تبقي من ذاكرة نصفها مسروق ،ونصفها الآخر مهزوم** "[29]كانت ذاكرة هذا البيت وذاكرة أمّة جسدها واسيني الأعرج في المخطوطة، هذه الأيقونة التي نسجت حولها خيوط الرواية انطلاقا من الحريق الذي نشب في البيت،ومجازفة سيكا بنفسها لإنقاذها وهي تردد لمراد باسطا «**لا أدري ماهي القوة الخارقة التي دفعت بي يوم الحريق المهول الذي أكل البيت الأندلسي ...وسحب المخطوطة من مكانها الذي كنتأعرفه جيدا وهو لا يدري أنه سيأتي يوم أضطر فيه لإنقاذها**

من نهاية مفجعة "[30].المخطوطة هي صوت الذاكرة أيضا وظفها واسيني الأعرج لتكون ومضة ومنبها إن أمكن القول لإيقاظ التاريخ، فيأخذ الروائي من خلالها عبر الأزمنة والأمكنة ليحكي تاريخا لم يعد موجودا إلا في ذاكرة أحفاد المورسكيين، والمخطوطة التي حفظته ووقفت ضد كل الأكاذيب التي تحكي تاريخا مزيفا عن الأندلس وغرناطة "**حاولت أن أتأكد من الكثير من الإشارات التي عاشها البيت الأندلسي،وسعدت أنها لم تكن مجرد ابتداع ببحث عن تاريخ مزيف لتعيد تركيبه وتصنيعه "**[31].هذا التاريخ أعاد تركيبه واسيني الأعرج عندما فتح جراح السنين ومعاناة أجداده المورسكيين في منفاهم،ثم الجد غاليليو وهو يخط حياته ومسيرته من جبل البشرات نحو الجزائر في المخطوطة،لتكون إرثا ثقافيا وذاكرة حية لأناس صنعوا تاريخا بدمائهم ووفائهم لأرضهم الأولى حتى ورثوها لأحفادهم وهم لم يعرفوها يوما لكن عرفوا معنى الوفاء لذاكرة أجدادهم ولإرثهم والحفاظ عليه، وهي أيضا نص للمقاومة،إذ جمعت بين طياتها تاريخ وماضي المورسكيين "**سأتذكر ذلك اليوم طويلا حتى عندما يطوى ما تبقي من الحياة لأنها كانت المرة الوحيدة التي لمست فيها المخطوطة بشكل غريب ...كنت خائفا عليها،وكأن سارقا أو جحيما ما كان يتهددها "**[32]ثم يضيف مراد عن المخطوطة "**وجدت فيها شيئا يشبهني أو أشبهه،كتاب تحرك بين أيد يمكن عدها على رؤوس الأصابع حتى وصل إليّ مليئا بالغموض والخوف وأحيانا بالدم والرماد،هرب كثيرا خوفا من ضياعه وخُبِّئ آلاف المرات من القتلة والسارقين ...كأن يدا خفية ما ليست كُكل الأيادي كانت دائما حاضرة لحمايتها "**[33].فلم تكن المخطوطة كتابا عاديا ولا دينيا يمكن نسيانه كما يقول مراد باسطا وارثها الأخير "**ما كان بها من معلومات وأسرار،لا شيء يضاهيه،ربما لأنه لا يهمني بشكل خاص حين وضعتها بين يدي في ذلك اليوم الممطر بدت رائحة الزمن الذي مسها قريبة مني، بل فيَّ، حين فتحها لم أعد قادرا على السيطرة على أحرفها ونداءاتها الداخلية وخوفها،رأيت وجوها مر عليها اليوم أكثر من أربعة قرون حية ومليئة بالحيرة والأسئلة الخفية، قرأت في عينيها ذعرا لم أعهده في بشر، أعيش معهم كل يوم،كل حرف كان محملا بالأصوات والنداءات والحنين "**[34]. نداء الأصل والهوية والانتماء الذي جعل مراد يصون أمانةأجداده وفاءً لذاكرتهم وإرثهم ورائحتهم التي أخذته إلى زمن بعيد، زمن حنا سلطانة والجد غاليليو.

مزج واسيني الأعرج بين زمنين في الرواية، زمن الطغاة وحلقة الضباع وهم يساومون البيت الأندلسي الذي يمثل ذاكرة أمة وحياة مراد باسطا، وزمن المخطوطة التي تحكي رحلة المقاومة والعذاب الذي عانى منه الروخو نحو التغييب والنفي، يمكن القول عنها إذن أنها ثنائية زمانية تقابليه لماض يرى حاضره من عيون المخطوطة، ومراد باسطا الذي يرسم تاريخا آخر من خلال مقاومته على البقاء في هذا البيت ليصبح الزمن زمنا واحدا هو زمن المقاومة والبقاء والاستمرار عبر الوجود والكتابة.

والقول بتفعيل الذاكرة هنا هو خطوة منا لتأكيد سعي واسيني الأعرج للوقوف على مقاومة الشخصيات، هذه الشخصيات التي تشكل أساسا مثيرات للذاكرة حتى تبوح وتقول ما سكت عنه التاريخ حتى تحكي قصة مقاومة الجد غاليليو وهو يصنع طريقه نحو الجزائر، وقصة أحفاده وهم يقاومون على وجودهم وانتمائهم وهويتهم،

ويمكن القول أيضا إنّ اعتماد واسيني الأعرج على تفعيل ذاكرة شخصياته هي خلق لنص مواز،نص مضاد من شأنه أن يرد على كل زيف وتهميش وطمس وتغييب.

أمّا البيت الأندلسي فهو الوطن العربي، هو الجزائر المستقلة التي لازالت تقاوم جشع الضباع التي تخرب البلاد لأجل مصالحها الشخصية، حيث تباع الأوطان والذاكرة بأبخس الأثمان ،ويدفن التاريخ الذي يقف معارضا لهم، وهو صورة الضباع لخيبات الأمل وضياع الإنسانية، كضياع حلم الأندلس وحنا السلطانة وبقي وخز الذاكرة،أما المخطوطة فهي رمز الذاكرة الفردية التي قاومت ولازالت تقاوم وهن واستسلام الذاكرة الجمعية، هذه الذاكرة التي يرى فيها مراد باسطا "**الذاكرة مثل النجوم حينما ينفد ألقها وصبرها ثم تتعب ثم تموت ثم تتبعثر هاربة في السماء في شكل رماد مضيء**"[35].

ثالثا: الكتابة ورمزية البقاء

البيت الأندلسي، هذا الفضاء الثري الذي جعل منه واسيني الأعرج فضاءً ثقافيا هوياتيا واجتماعيا يحمل ذاكرة أمة ورمز مقاومة لذات تحاول إثبات وجودها في ظل الصراع حول هذا البيت، إذ "**عجت الرواية بالفضاءات المتنوعة والمفتوحة على مختلف مظاهر الطبيعة الأندلسية، والتي ألهمت الشعراء والكتاب كما المعماريين الذين تركوا محطات لايزال أثرها شاهدا على عظمتهم إلى اليوم في قرطبة وغرناطة ومدن إسبانيا الأخرى، بكنائسها ومساجدها وقصورها وشوارعها المتميزة، كلّأسهم في إنتاج معاني ودلالات أيديولوجية كثيرة لها أبعاد تاريخية وحضارية ودينية واضحة المعالم في الماضي**، لقد جمع البيت الأندلسي معالم حضارتين مختلفتين ألفتهما ووحدتهما جدران هذا البيت الذي يحكي هجرة المورسكيين المسلمين نحو الجزائر،ومعاناتهم في إيجاد فضاء يحتويهم ويحضنهم بعد نفيهم من غرناطة التي بقيت تسكن أحفاد المورسكيين في الجزائر "**فانخلاع الإنسان من فضائه الأصلي وما ينجرّ عنه من تحولات نفسية اجتماعية وثقافية، لأن استبدال الفضاء المألوف انزياح نفسي وتخييلي وإعادة تشكيل لأواصر الانتماء إلى العالم الإنساني جملة، وليس مجرد مغايرة حسية لمنطقة بعينها،وفقدان المكان الأصلي أو التغرب عنه نهاية لفكرة التماهي مع الأصل بحدّ ذاتها، وبداية لتجاوز حدود الجغرافيا واللغة والدين والطبقة والوطن**"[36]إلا أن واسيني الاعرج ومن خلال هذا النص أراد أن يقدم فكرا مختلفا، فانزياح الإنسان عن فضائه الأصلي هو نهاية لفكرة التماهي أو إثبات الوجود في نفس الوقت نجده إعادة صناعة الوجود والهوية الذي قدمته شخصيات هذا النص، وذلك من خلال الكتابة التي "**تتحول إلى عملية إلغاء في الوجود أو علامة تضاف إلى الوجود،أو هي محاولة لتبديد فقدان الإنسان لذاته في أوطان غريبة أو في الغربة،ومن ثم تتسع الكتابة لتكون نسقا من المقاومة وسردية مضادة لحالة الإقصاء عن الوجود**"[37]أي هي ميلاد لفكر الانتماء في مكان آخر يعطي للذات إشارة الحياة والمقاومة بدل الموت،وإذا كانت الكتابة "**حرية فإنها ليست سوى لحظة،لكن هذه اللحظة هي من أوضح لحظات التاريخ ما دام التاريخ هو دائما وقبل كل شيء اختيار وحدود لهذا الاختيار،لأن الكتابة تنحدر من إشارة دلالية للكاتب فتلامس التاريخ أكثر من أي عنصر آخر**"[38].تدون اللحظات الهاربة منا لتسكن التاريخ وتعلن لا للموت بل للخلود وإضاءة الذاكرة،فإصرار غاليليو

بطل البيت الأندلسي على تدوين كل ما حدث منذ خروجه من أرضه هو رسم لخريطة الحياة التي عاشها ويعيشها من بعده "**منذ زمن بعيد لم أكتب شيئا يستحق أن يدون،ربما كانت الكتابة رديف الحياة، إذ تفقد الشهوة أحيانا في كل شيء بما في ذلك مواصلة العيش،وتتحول أحيانا إلى شعلة مضيئة،لكنها حارقة أيضا،لا قوة في الدنيا تستطيع الوقوف في طريقها،لقد أقسمت بأن أحافظ على الذاكرة متقدة وسأفعل اليوم أيضا بما أستطيع أن أدونه قبل انطفاء الروح** "[39]لقد كانت الكتابة عند غاليليو ظمأ يشفي لهيب المنفي والعذاب وشعلة تعطي للحياة معنى،كما أن الكتابة عند غاليليو مقاومة "**إن التذكر والكتابة يعدان شكلا من أشكال مقاومة التلاشي والذوبان** "[40]هذا التلاشي الذي كان هاجسا عند غاليليو الذي رفض الاستسلام والذوبان، وبث ذلك في أحفاده الذين أخذوا عنه القلم "**سأكتب بعيني وإن لم أستطع فبقلبي،إذا فشلت سأكتفي باستعادة ذاكرتي وأكتب بكل حواسي التي لا تموت** "[41]. إنّ إصرار واسيني الاعرج على مرافقة هذه الثنائية الضدية (الكتابة والموت) هو تأكيد على المقاومة وإصرار على البقاء عبر الحروف .

الكتابة ⟷ الديمومة
الفناء ⟷ الموت

الكتابة هي فعل مقاومة على البقاء أي مقاومة الموت.

هنالك صفحات تحفظ الذاكرة وتمنحها الوجود، فهذا مراد باسطا يقر "**يمر زمن أحيانا لا نجد من يحمل على ظهره شأن تدوين ما حدث في هذا البيت، إما خوفا أو أن الوثائق اندثرت،ولكنه في لحظة ميتة يأتي مجنون يضع ذاكرة المكان في كفة ثم يوقدها كقنديل زيتي** "[42]كما فعل واسيني الأعرج أولا لما أعاد إحياء ذاكرة المورسكيين،ثم أحفاد الجد غاليليو الذين حافظوا على إرث جدهم كمراد باسطا سيلينا ومارينا، هذه الأخيرة التي يقول عنها مراد باسطا "**مارينا كانت تكتب يوميا وكنت أساعدها في تقريب الضوء في أوراقها وأهيئ لها مدادها** "[43]وهي صورة من صور مقاومة مراد باسطا للحفاظ على تاريخ وإرث أجداده الذي تنخره الضباع وتنهك قواه "**لم يبق لي إلا الكلام والأحرف الهاربة من سلطان التدوين ونعمة سيكا صوتي الأعمق والخفي ...سأتسلح باليقين الهش وأتشبث ببقايا العمر وأقول ببيتنا الهارب البيت الاندلسي** "[44].هذا البيت الذي حمل بين جدرانه مخطوطة الجد غاليليو الروخو التي قاومت أوراقها التلاشي والمحو وقاومت غربة المنفى ومالكيها: "**هو ذا مخطوط جدك يا سيلينا الذي عاش غريبا ومات غريبا كسابقيه من الناس الطيبين،هولك احفظيه في عينيك،ضعيه في عمق قلبك إن وجدت ما تكتبينه، اكتبي عني وعن أهلي، عن كل مآسينا،كيف سرقوا منا حلما كان، وكيف كان حلما لنا،وكيف بهدلوهوحولوه إلى لا شيء**"[45]

لقد ترك الجد غاليليو إرثا ماديا ومعنويا و هو ميراث الحرف والقلم وأوصاهم بالتدوين، فكانت لهم لغتهم الخاصة التي نقلوها من غرناطة،هي نفسها التي قاومت الاحتلال في غرناطة وصانت المخطوطة فلم تعد اللغة "**وسيلة تعبير وتواصل فحسب،وإنما هي تشكيل ثقافي شديد الخصوبة والحساسية** "[46].تساعد الفرد علي الانسجام ويضيف وكذلك "**تمتلك اللغة دورا محوريا في إدراك ذواتنا التي ربما تتعرض ميتافيزيقا للتصفية أو التلاشي في سديم الثقافات وجغرافيات أخري حيث نعبرها أو تعبرنا** "[47].

وبالعودة إلى النص فقد كانت للمورسكيين لغتهم الخاصة التي حفظت إرثهم وصانت هويتهم من التغييب والذوبان في ظل هذا التهجير والنفي من أرضهم، فكانت ألخيميادو لغتهم التي صانت أقليتهم لتمد جسور التواصل مع أجيال أخرى ولتعرفهم بلغة أجدادهم السرية التي كتبوا بها نصوصهم وتاريخهم وحتى النص القرآني، إذ كان سليم حفيد مراد باسطا يتقن هذه اللّغة ويوصي بها، فهي التي تحمي جنونهم وحماقاتهم وأشواقهم ودينهم «**تتعلم لغة أمك وأجدادك لكي لا يسرق منك حقك في هذا الكتاب، حافظت عليه بكل ما أملك من قوة كما فعل الذين سبقوني** "[48]

لقد كان مراد باسطا يحيا على أمل البقاء في البيت فتمسك بكل ما له صلةبالمورسكيين في منفاهم من تاريخهم وثقافتهم، فكانت اللغة عند مراد باسطا " هي منفى المهزومين " بها كتبوا عن خيباتهم وغربتهم،فالمخطوطة وكتابات الروخو ومراد باسطا وسيلينا كلها تيمات زج بها واسيني الأعرج في هذا الهرم السردي الذي يحكي رحلة مقاومة وبحث عن الهوية المفقودة، هوية المورسكين المهجرين قسرا، لنصل إلى الموسيقى التي وظفها الروائي لتخترل التاريخ والواقع، الحاضر والماضي، وتبوح بما أخفاه التاريخ وتناساه،فكانت هي الخيط الذي ينقل حنين حنا سلطانة بلاتيوس وغاليليو من غرناطة إلى الجزائر وخليج الغرباء، ليحتضنه بالبيت الأندلسي، أين تعزف نغمات الأمل بغد جميل عبر أوتار الخيبة والانكسارات وغربة المنافي ولحظات الاحتراق والبحث عن الذات والانتماء .

رابعا: الموسيقى وإمكانية التجذر

حضور الموسيقى فينص واسيني الأعرج هو إنصاف لذاكرة أجداده وإعادة بعث لثقافة منسية في السجل التاريخي والثقافي الجزائري (الموسيقى الأندلسية)،كما أنها بعث لما حفظته مخيلة مراد باسطا وحنينه الدفين لبلاد جده الموريسكي، إذ قامت الرواية عبر فصولها على مقامات موسيقية أندلسية وهذه أيضا صورة لتداخل الرواية والفنون، إذ عمد الروائي المعاصر إلى تلوين نصه السردي بطبوع فنية مختلفة،وهذا ما جعل ميشال بوتور يقر بوجود علاقة جدلية بين الرواية والموسيقى و"**على الموسيقيين أن ينكبوا على مطالعة الروايات،كما يجدر بالروائيين أن يكونوا مطلعين على بعض المفاهيم الموسيقية،وقد شعر بتلك الحاجة كبار الفنانين** "[49]كما أن "**الموسيقى والرواية فنان يوضح أحداهما الآخر،ولابد لنا في نقد الواحد منهما من الاستعادة بألفاظ تختص بالثاني** "[50].

تساعد الموسيقى الرواية على ترجمة الأحاسيس والمشاعر، فبدل لغة الكلام نجد لغة النوتات، وهي صورة أبت أن تفارق مراد باسطا، وهو يعود بذاكرته إلى أيامحناسلطانة التي عشقت الأندلس وموسيقاها،إذ "**جعلت من البيت الأندلسي ملجأ لكل عاشق للموسيقى ...لاكاسا أندلوسيا**"[51]لقد أسست فرقتها النسائيةالخاصة بهاركا (مقام من مقامات الموسيقي الأندلسية تؤدى فيها الأنغام الرفيعة والحادة أكثر).

حنا سلطانة التي أثثت فضاءها بكل ماله علاقة بالحنين لغرناطة الأصل والانتماء،من الموسيقى إلى العطر الذي كانت تصنعه من أسرار أجدادها في غرناطة،كانت لياليها وأيامها هي ليالي الحنين وأمل العودة ،وهو أيضا

مقاومة لأجل البقاء، فاحتفاظ حنا سلطانة بعطر أجدادها، وموسيقاهم هي صور لمقاومة الذات على الحياة والبقاء والهوية حتى ولو في المنفى،فكانت حنا سلطانة تجتمع مع فرقتها ومحبي الموسيقى الأندلسية "**يتبادلون نشوة الموسيقي التي كانت ترميهم بعيدا نحو زمن لم يعد موجودا** (زمن غرناطة)**التي غادروها رغما عنهم وينقرون كؤوسهم في شنشنات لا يتوقف رنينها، مختلطة مع رنين الخلاخيل والمياه،التي تقاوم رعشة الموسيقي...في لحظة هاربة والأمطار تكسر ملامح الأشياء من وراء الزجاج،بدا لي أني سمعت صوت حنا سلطانة بلاثيوس نقيا دافئا وهي تدوزن بحنجرتها وأناملها الناعمة العود كما تعودت أن تفعل كلما كانت السهرة جميلة وبها من تحب،ثم ترفع الريشة التي في يدها غالبا فيرد عليها بقية أفراد الفرقة النسائية** "[5257]. إرث ثقافيأندلسي قاوم غربة المنافي ووجع الفراق ووضع بصمة للبقاء والانتماء.

استعان واسيني الاعرج في هذه المدونة بمصطلحات موسيقية أندلسية، فكانت على شكل عناوين لفصول الرواية،وكأنه يفتح الكلام بنوتات أندلسية تعزف على أوتارها مقاومة مراد باسطا وسيكا للحفاظ على هذا البيت الأندلسي والمخطوطة، وكانت البداية بصوت أنثوي رمز الوجود والنماء "استخبار سيكا " يحمل من حنان حنا سلطانة وهي تحمل في عروقها دم غراة العشق والحب،كما أن الاستخبار يوظف عادة لشد انتباه القارئ والمستمع ويدخله في عوالم الموسيقي الأندلسية الساحرة،خاصة إذا كان صوت الحفيدة كصوت حنا سلطانة التي ملكت قلوب العاشقين للإرث الأندلسي، والتي كانت تأخذهم بوصلاتها إلى زمن غرناطة الحلم والحنين.ثم نجد التوشية والتي من خلالها يكون التحضير لدخول العزف النوبة هي عناوين تدل علي الإحساس بفقدان الهوية وضياع الذات فضلا عن الإحساس بالاغتراب.

الفصل الأول بعد الاستخبار الذي قدمته سيكا وتوشية مراد باسطا نجد **نوبة خليج الغرباء**،والنوبة كما أشار إليها واسيني الأعرج في هامش الرواية هي مقام أندلسي معروف جاء به الموريسكيون واليهود أثناء عمليات التهجير القسري،وخليج الغرباء فضاء يوحي بالانغلاق وإحساس بقساوة المنفى للمورسكيين،فهذا الجد غاليليو الروخو يكتب لأحفاده معاناته وغربته "**ينتابني حزن غريب، يعبر داخلي كضباب الضفاف المغلقة،آن الأوان أن أحكي عن هذه الدار وأنا أودع هذه الدار، هذه الدنيا التي سرقت مني زوجتي سلطانة بلاتيوس في وقت مبكر...ولم تبق لي إلا ابنتي لالة مارينا التي ورّثناها بعض أمراضنا القاسية وأشواقنا الجميلة وأحاسيسها الهشة**"[53]

هذه الأشواق التي جعلته يتنفس هواء غرناطة وهو بعيد عنها ويشرب الياسمين مرشوشا بفتات عود النوار مثلما كان يفعل والده في غرناطة، ويصنع مفتاح البيت الأندلسي نسخة عن مفتاح بيته في الأندلس الذي لا يزال محتفظا به حتى أكله الصدأ بعد أن كان يرى في المفتاح أمل العودة، وخليج الغرباء هو إذن فضاء يحكي وجع الذات المغتربة التي تعاني ضياع الذات وفقدان الهوية، وفيه يتحول المكان إلى ذاكرة تختزن ألم الرحيل وعذاب المنفى، فيه يتسع إحساس الفقد في ظل هذا الخليج الذي يوحي من اسمه بحجم هذا الوجع.

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه **"وصلة الخيبة"** فيقصد به خيبة مراد باسطا في الحفاظ على البيت وهدمه من طرف البلدية، هي أيضا خيبة مراد الذي وجد نفسه يقاوم الورثة بعد أن كان يأمل فيهم الوفاء لإرث أجداده،فلما نقول وصل هو إيقاع لزمن جميل، زمن حنا سلطانة، زمن الذاكرة، أما الخيبة فهي الواقع المرير الذي يعيشه مراد باسطا وهو يرى البيت الأندلسي تنهكه الضباع، فتحمل وصلة الخيبة انكسارا وألما وفشلا، لنجد واسيني الأعرج يقف بين الفصول فسحة لاسترجاع الذاكرة المثقلة بألم الفراق وتأمل نهاية البيت الأندلسي بفاصلة سماها إيقاعات الحرف السري (الفصل الثالث) وهي إيقاعات مشفرة تخفي بين ثناياها هموم الهوية والذاكرة معا، هوية المورسكيين وهم يزرعون حياة جديدة نفسها من الأندلس الأم، عطرها ذاكرة أبت النسيان .

الفصل الرابع نوتة موسيقية أخري في مقام الرماد، مقام الشموخ والعلياء، المقصورة العليا المطلة على البحر حيث كان الروخو وحنا سلطانة وأبناؤهم من بعدهم يراقبون البحر عله يحمل مع سفنه أخبارا عن إخوانهم في الأندلس، فعندما نقول مقام فيعني الاستقرار، استقرار الروخو أول مرة وهو يحط حقائبه "**فجأة رأيت جدي غاليليو الروخو ينزل في الساحل الموحش بحقائبه الجائعة والحزينة،هو الذي ظل يردد دائما: الغريب ليسغريب الدار،ولكن غريب الوجه والحقائب، يبحث عن مكانه في الفجوة الصغيرة،خليج الغرباء**"[54]أما الرّماد فهو الحالة التي آل إليها البيت الأندلسي بعد قرار الهدم الذي طال البيت .

يختم واسيني الأعرج مقطوعاته الموسيقية التي تنوعت بين الصعود والهبوط بين مواجع الفراق والمنفى إلى أغاني الوفاء والحب التي رسمتها حنا سلطانة وأخذتها عنها الحفيدة سيكا التي افتتح بها الروائي مسيرته السردية هذه، ويغلق بها ألحانه وهي لمسة سيكا الناعمة وهي تجري لإنقاذ المخطوطة من الحريق،التي تحفظ تاريخ المورسكيين في الجزائر،وثيقة ثبوت هويتهم ووجودهم،كما أنقذت مراد باسطا من حياة الرماد التي يعيشها بحبها وعشقها فلم تكن سيكا كأي أنثي في حياته "**من بين كل الوجوه النسائية التي مرت علي، وتركت ملمسا دفينا على حياتي،ظل وجه حبيبتي سيكا هو الأبقى والأنقى،ربما لأنها كانت صبية، وقبل أن افتح عيني عليهاكبرت بسرعة ؟...ربما لأن بها بعضا من تفاصيل وجه حنا سلطانة** "[55]. وبهذا نجد أن الموسيقي قد شكلت في هذه المدونة الماضي والحاضر، والتاريخ والواقع، والذاكرة والوعي والمقاومة لأجل البقاء، بقاء الصوت والكلمة والحرف.

خاتمة

خلاصة القولإنّ هذه الدراسة قد وضعت أمام أعيننا مدى الأثر الذي حققته ثقافة المقاومة في نموذج السرد المضاد الذي تبنته الأنا الشرقية في رحلتها نحو الداخل، وكتابة تاريخها وإثبات وجودها وكسر قيود السلطة المركزية التي سيطرت على السرد الإمبراطوري وشوهت تاريخ الشعوب المستعمرة، ليكون إدوارد سعيد الحاضنة الرئيسية لميلاد الفكر التحرري لدى المثقف العربي، الذي أصبح واعيا بما تكتبه الإمبريالية فيسعى إلى التعريف بثقافته بقلمه ورؤيته هو.

استثمرت الرواية التاريخية لمساءلة الماضي والحاضر وتأكيد الهوية الأندلسية ومقاومتها على الوجود والانتماء وإنصاف لتاريخ الموريسكيين المنسي.

حملت الرواية في طياتها نداءات الذاكرة والأصوات المقموعة، إذ مثلت الذاكرة في هذا النص الوطن العربي والجزائر خاصة،والتي لازالت تقاوم جشع حلقة الضباع التي تخرب البلاد لأجل مصالحها الشخصية.

الكتابة في البيت الأندلسي هي تدوين للحظات الهاربة حتى تعلن الخلود وإضاءة الذاكرة المحملة بزخم الماضي. فالكتابة هي رديف الحياة، وعدم انطفاء الروح ومقاومة التلاشي والذوبان خاصة بلغتهم التي صانت وهويتهم ومدت جسور التواصل بين الأجيال لتربطهم بأجدادهم الموسكيين في غرناطة.

إن الموسيقي في البيت الاندلسي هي الخيط الرفيع الذي يشدّ الماضي بالحاضر، والتاريخ والذاكرة بالمقاومة والصمود والوجود أيضا.

هوامش:

[1] واسيني الاعرج: البيت الأندلسي، (2010) منشورات الحمل ط1ص27.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

[3] المرجع نفسه، ص 92.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

[5] المرجع نفسه، ص172.

[6] وسيلة سناني: في نظرية التداخل الثقافي، (2016)، دار فضاءات للنشر والتوزيع ط1، (عمان) ، ص125.

[7] مجموعة من المؤلفين: ثقافة المقاومة، ((2016منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ص63

[8] المرجع نفسه، ص94.

[9] إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، حاوره دافيد برساميان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة (2006)، دار الآداب، ط1، (لبنان)، ص144.

[10] إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، ((2004، دار الآداب، ط3، (بيروت)، ص273.

[11] المرجع نفسه، ص273.

[12] المرجع نفسه، ص295.

[13] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد الغربي المعاصر (النظرية والتطبيق)، (2013)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، ص107

[14] احمد بوعزة: سرديات الثقافة من سياسات الهوية الى سياسات الاختلاف (2014)، منشورات الاختلاف، ط1، (الجزائر العاصمة)، ص51.

[15] ادوارد سعيد: ثقافة المقاومة، ص413.

[16]أحمد بقار: الرواية والتاريخ عند وسيني الأعرج (الاستدعاء والدلالة)، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 19 جانفي 2014، ص111.

[17]ناذر كاظم: تمثلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، (2004)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت)، ص54.

[18]نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، (2006)، عالم الكتب الحديث (اربد، الأردن)، ص108.

[19]نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص107.

[20]كارلوس فوينتس: تقول الرواية ما يحجبه التاريخ، مجلة الكرمل، (فلسطين)، العدد 18، (1985)، ص113.

[21]الطاهر روابنية: جدل التاريخي والمرجعي في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، الرواية الجزائرية المعاصرة (1990-2011) وقائع سردية وشهادات تخييلية، وحدة البحث حول الثقافة والاتصال واللغات والآداب والفنون يومي 21-22 نوفمبر 2011.

[22]ادوارد سعيد: ثقافة المقاومة ص161.

[23]ادوارد سعيد: ثقافة المقاومة ص161.

[24]المرجع نفسه، ص143.

[25]واسيني الاعرج: البيت الاندلسي، ص53.

[26]المرجع نفسه، ص55.

[27]المرجع نفسه، ص336.

[28]المرجع نفسه، ص329.

[29]واسيني الاعرج: البيت الاندلسي، ص336.

[30]المرجع نفسه، ص8.

[31]المرجع نفسه، ص23.

[32]المرجع نفسه، ص49.

[33]المرجع نفسه، ص49.

[34]واسيني الاعرج: البيت الاندلسي، ص50.

[35]المرجع نفسه، ص28.

[36]شرف الدين مجدولين: الفتنة والآخر، انساق الغيرية في السرد العربي، (2012)، دار الأمان (الرباط المغرب)، ص187.

[37]رامي أبو شهاب: في الممر الأخير، سردية الشتات الفلسطيني (منظور ما بعد الكولونيالي)، (2007)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت لبنان)، ص203.

[38]رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد برادة، (2009)، دار العين للنشر (القاهرة)، ط1، ص44.

[39]واسيني الأعرج: البيت الاندلسي، ص150.

[40]رامي أبو شهاب: الممر الأخير، سرديات الشتات الفلسطيني، ص103.

[41]واسيني الأعرج: البيت الأندلسي، ص301.

[42]المرجع نفسه، ص43.

[43]المرجع نفسه، ص396.
[44]المرجع نفسه، ص34.
[45]واسيني الأعرج: البيت الاندلسي، ص398.
[46]رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد الغربي المعاصر (النظرية والتطبيق)، ص105.
[47]رامي أبو شهاب: الممر الأخير، سرديات الشتات الفلسطيني، ص104.
[48]واسيني الأعرج: البيت الأندلسي، ص205.
[49]ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، (1986)، منشورات عويدات، (بيروت)ط1، ص40.
[50]المرجع نفسه، ص40.
[51]واسيني الأعرج: البيت الأندلسي، ص190.
[52]المرجع نفسه، ص52.
[53]المرجع نفسه، ص65.
[54]واسيني الأعرج: البيت الأندلسي، ص309.
[55]المرجع نفسه، ص447.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. **الكتب:**

1. احمد بوعزة: سرديات الثقافة من سياسات الهوية الى سياسات الاختلاف (2014)، منشورات الاختلاف، ط1، (الجزائر العاصمة).
2. إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، (2004)، دار الآداب، ط3، (بيروت).
3. إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، حاوره دافيد برساميان، ترجمة: علاء الدين أبو زينة (2006)، دار الآداب، ط1، (لبنان).
4. خاليد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، (2009)، منشورات الاختلاف، ط1، (الجزائر).
5. شرف الدين مجدولين: الفتنة والآخر، انساق الغيرية في السرد العربي، (2012)، دار الأمان (الرباط المغرب).
6. مجموعة من المؤلفين: ثقافة المقاومة، (2016)منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.
7. ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، (1986)، منشورات عويدات، (بيروت)ط1.
8. ناذر كاظم: تمثلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، (2004)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت).
9. ضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، (2006)، عالم الكتب الحديث (اربد، الأردن).
10. رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد الغربي المعاصر (النظرية والتطبيق)، (2013)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1.

11. رامي أبو شهاب: في الممر الأخير، سردية الشتات الفلسطيني (منظور ما بعد الكولونيالي)، (2007)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (بيروت لبنان).
12. رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة: محمد برادة، (2009)، دار العين للنشر (القاهرة)، ط1.
13. ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، (1986)، منشورات عويدات، (بيروت)ط1.
14. وسيلة سناني: في نظرية التداخل الثقافي، (2016)، دار فضاءات للنشر والتوزيع ط1، (عمان).
15. واسيني الاعرج: البيت الأندلسي، (2010) منشورات الحمل ط1.

ب. المجلات:

16. أحمد بقار: الرواية والتاريخ عند وسيني الأعرج (الاستدعاء والدلالة)، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 19 جانفي 2014
17. كارلوس فوينتس: تقول الرواية ما يحجبه التاريخ، مجلة الكرمل، (فلسطين)، العدد 18، (1985).
18. نورة بعيو: مظهر العلاقة التفاعلية بين الفضاء والأيديولوجية في روايتي، مدن الملح والبيت الأندلسي، مجلة الأثر، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر، العدد 20، جوان 2014.

ت. **الملتقيات :**

19. الطاهر روابنية: جدل التاريخي والمرجعي في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، الرواية الجزائرية المعاصرة (1990-2011) وقائع سردية وشهادات تخييلية، وحدة البحث حول الثقافة والاتصال واللغات والآداب والفنون يومي 21-22 نوفمبر 2011.